وهي مواظن الحكم والتشريع والنظام والإدارة والاقتصاد، جلّ ُها ـ ان لم نقل كلها ـ مقتبس مجلوب مستعار، نلبسه ضيّ ِقا حيناً، وحيناً فضفاضا، ونحن في غنى عنه بما قدّ َ ا علينا من دثار، وشعّ َر لنا من شعار.

ثم أخلاق الإسلام، وتقاليد الإسلام، وامتلاء النفوس غيرة على الإسلام وحماسة للإسلام، اين نحن من ذلك اليوم ؟ لقد كان ذلك فيما مضى سياجا حصينا يعصمنا من التدهور الخلقي، والانحلال النفسي، وكنا نؤمن إيمان الراسخين بان لنا (مقوّمات) لو خرجنا عنها لخرجنا عن أنفسنا، ولو فرطنا فيها لفرطنا في وجودنا، فلما طوّ َعتنا المدنية الحديثة تطوّعنا لها بأنفسنا ونسائنا وتقاليدنا ومقوماتنا فصاغتنا خلقاً جديداً، لتجعلنا أسواقا تجارية لسلعها، وخدّاماً مخلصين لسياستها وأغراضها، وميادين تتنافس عليها دولها، ويطمع فيها كل طامع حتى نُ ُفايات الأمم، وشذّ َاذ الآفاق.

هذه حالتنا ـ معاشر أهل الإسلام ـ وهذا موقفنا من شريعة الإسلام، وتراث الإسلام: حقيقةٌ يجب أن تُ ُعلم وتذاق، وإن كانت بَ ِشعة الطعم مُ ُرّ َةَ المذاق.

على أن الأمر لم يصل بنا إلى حد اليأس، ومعاذ ا أن ييأس المؤمنون (إنه لا ييأس من رَ ْوح ا إلا القوم الكافرون).

فمن الممكن أن يتآزر المسلمون في جميع شعوبهم وبلادهم على إصلاح هذه الناحية الأساسية فيهم، وإن الفرصة لذلك لسانحة، حيث تنبه المسلمون، وتفتحت عيونهم على حالة العالم الآن، وهو يتنقل بسبب إنكاره للقيم الروحية، وإفراطه في المادية، من فشل إلى فشل، ويرزح تحت أثقال حروب متلاحقة، لا يكاد يفيق من إحداها إلا ليصرع بأخرى.

الا وإن أول من يطالب بذلك هم العلماء وأهل الرأي والفكر، فإن ا قد أخذ عليهم الميثاق كما اخذه على النبيين: ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وقد نادى بذلك حكماء الأمة من قبل في القديم والحديث، ومن بينهم السيدان المصلحان: